



نسخ متشابهة

التفاهة جائحة تقصي المعايير الرفيعة في المجتمعات

متطلبات العصر الحالي أفسحت المجال لغياب الإتيقان وتفشي الرداءة



عصر استبدال الرموز

المرتبة على هذه السيطرة المحكمة للتأهين في كل المواقع، وهم يشرحون بشكل مفصل كيف مدت التفاهة أذرع سيطرتها في كل اتجاه وفي كل ميدان. بدءاً من الميدان الأكاديمي وصولاً إلى السياسي، مروراً بالاقتصادي والتجاري والمالي والإعلامي والفني.

دور النخب

لا تظهر التفاهة بشكل فجّ وصادم ومباشر كما تظهر في ميدان الفنون، فليس من الضروري كي تكون "فناناً" في نظام التفاهة أن تمتلك حبهات ومهارات معينة، وأن تكون عندك رسالة لتؤديها. قل أسخف السخافات، وتشدق باكثر الخرافات لا معقولة، ولا عليك، فهذه هي البوابة المثلى لدخول عالم الفن. أما الفنان الحقيقي فيختفي، إذ أن المطلوب هو فن بلاستيكي.

ويجوز خبراء على الدور الذي من الممكن أن تؤديه النخب المثقفة، التي عجزت عن سحقها نظام التفاهة، فئات بنفسها عن مؤسساتها، وانسحبت من أكاديمياتها. هذه النخب، على الرغم من قلة وندرتها وتشرذمها، لا تزال قادرة على أن تفعل شيئاً في وجه التدمير والتخريب الممنهجين، إنسانياً واجتماعياً واقتصادياً وبيئياً وأكاديمياً وفنياً.

ويرى كثيرون أن النقابات والاتحادات كانت ستكون منصات تقنيّة فاعلة لولا غرقها في مشاكل السياسة. وأصبحت النقابات هي القلعة التي تحتمي بها الطبقة السياسية وتناضل من داخلها ضد النظام السياسي وقد أحدث هذا تقليداً شاذاً منذ البداية لم يكن أحد يريد أن يسميه هو أن النقابة قد شكلت بديلاً عن تطور المجتمع السياسي وأجّلت النضال السياسي الحزبي ففتشوت الساحة السياسية وتشوّه النضال النقابي، لذلك كان على النظام السياسي أن يفاوض النقابة بصفتها حزباً سياسياً فتلقى له مطالب سياسية تحت مسنّى نقابي (مطلبي).

ساختفهم، حتى العقل الواعي أصبح في حالة من النوم فاصبح لا يميز الصالح من الطالح، لذا تجد أكثر ما يصلك من مقاطع ونصوص عبارة عن صراخ أو موقف حول الحمقى لنجوم تتخاطفهم الأضواء وينجذب أبناءنا على أن هؤلاء من يكتبون منهم القديم والأخلاق. باتت الناشئة مهووسة بمختلف المشاهير والفنانين على تلك المواقع بشكل دائم ومبالغ فيه وحتى مرضي في الكثير من الأحيان. ويتأسس نظام التفاهة في عصرنا الحالي على الاستسهال والتقليد، واحتوت جدرانه الفرد معدوم الهوية، فهو الأقدر على مواكبة التسطيع ومسيرة المعايير المتدنية المحببة للقاعدة الأكبر من الناس.

«نظام التفاهة» يؤسس لواقع يظن الإنسان فيه أنه حر، لكن هذا لا يعني سوى أنه يخضع لمعيار وحيد لا يمكنه اختيار سواه

وبصفة عامة، أقصى الملتزمون بالمعايير الرفيعة أو أصبح وجودهم هامشياً إلى حد ما، إذا قارنا حجم المحتوى الجيد بالسوء، وأفسحت متطلبات العصر الحالي المرتبطة بالكم وسرعة إنتاج المحتوى المجال لغياب الإتيقان وتفشي الرداءة، حيث يظل التقييم بأيدي أناس إما مفلسين فكرياً وإما متهمكين يساهمون في نشر المحتوى بمشاركة واستعراض أنهم أكثر علماً وأرقى ذائقة، عن جهل منهم. ويؤكد الفكر الكندي أن التفاهة قد بسطت سلطانها على كافة أرجاء العالم. فالتأهين قد أمسكوا بمفاصل السلطة، ووضعوا أيديهم على مواقع القرار، وصار لهم القول الفصل والكلمة الأخيرة في كل ما يتعلق بالخاص والعام. ويدق الخبراء ناقوس الخطر للعواقب الوخيمة

وكان الفكر والفيلسوف الكندي الآن دونو خالص إلى أن قطب الرحي في سيطرة التأهين على كل مفاصل الحياة المعاصرة يبدأ وينتهي بالمباين الأكاديمية، وهي الجامعات والكليات ومراكز الأبحاث.

وفي المجتمعات الحالية تنحس الخبير والمثقف والحكيم والعالم، ليحل محله الخبير والاختصاصي والبروفيسور. قد يبدو هذا اختلافاً بسيطاً في التسمية، لكن دونو يؤكد أنه تم تشويه دور الأكاديمية وانحرفها عن رسالتها. فالمثقف (الحكيم والعالم والباحث) يضع نصب عينيه الحق والحقيقة، ويوزن الأمور بوزن من ضميره قبل إطلاق أحكامه.

وفي الجهة المقابلة، نجد الخبير (الاختصاصي والبروفيسور والدكتور). والفرق الجوهرى بين الخبير والمثقف، أن الخبير يبيع كلمته وضميره خدمة لمصالحه الخاصة الضيقة، وذلك على حساب الحق والحقيقة، وإعلاء لحساب الذين يرتبط بهم بمصالح.

وهكذا جرى "تفقيه" الأكاديمية وإفراغ ميادين الأبحاث والدراسات العليا من مضمونها، حتى صارت السيادة للسخافة والسفاهة، حيث كان من المفروض أن تسود الحكمة والعلم والحق والأخلاق، ولم يعد من المهم أن يكون المرء مبدعاً وموهوباً حتى يتسنى له الصعود في الدرجات الأكاديمية، فالمهم أن "يؤدي اللعبة"، ويتقن فنون التملق والتزلف.

وتوجهت مجلة "فورين بوليسي" الأميركية إلى 12 خبيراً ومختصاً في العلاقات الدولية، بالسؤال الآتي: كيف سيكون العالم بعدما يزول وباء كورونا؟

نجوم العصر

كانت جميع الأجوبة تدور في دائرة صعود الشعبية، والعودة إلى مركزية الدولة واحتمالية ضعف العولمة، واحتمالية صعود النموذج الصيني وزيادة التنافس الاقتصادي بين الصين وأمريكا، والتنبؤ بإزمة تهديد الاقتصادي العالمي. لكن لم يتنبأ أحد باحتمالية إعادة التفكير في المدخلات التي أنتجت نظام التفاهة، إذ تعلمنا من التاريخ أن العالم والافتكار لا يتغيران إلا بعد أن تقع الكارثة.

ويؤسس «نظام التفاهة» لواقع جديد يظن الإنسان فيه أنه حرّ تماماً من أي قيد، لكن هذا لا يعني سوى أننا نخضع لمعيار وحيد لا يمكننا اختيار سواه.

وهذا ما يُفسّر ظهور "خبراء" فارغين قادرين على توجيه الرأي العام عبر خطاب تفاهة لا تحفظ للخبراء ومن يدعمونهم إلا بقاعهم في السلطة. وحدد أستاذ الأدب المقارن إدوارد سعيد وظيفة الخبير في تحويل الأفكار إلى عناصر مجردة ذات مظهر ثقفي، دون فكرة أو مقترح قوي، وأطلق عليه لقب

يعيش العالم مرحلة تاريخية غير مسبوبة تتعلق بسيادة نظام أدنى تدريجياً إلى سيطرة التأهين على جميع مفاصل الحياة في المجتمعات، كما أن العالم العربي لا يعتبر استثناء. وعلى الرغم من أن المجتمعات والأنظمة العربية تعيش على هامش الرأسمالية في أنظمة سياسية واقتصادية هجينة تجمع بين الرأسمالية والاشتراكية وبين الديمقراطية والديمقراطية، فإن الفضل يرجع البعض إلى العولمة التي سرّبت إلى مجتمعاتنا الكثير من مظاهر نظام التفاهة.

لندن - تحدّث أحمد (23 عاماً)، وهو أحد طلاب كلية الهندسة في جامعة المنوفية المصرية، عن واقعة "خداع" و"نصب" تعرض لها هو وزملاؤه من قبل بعض أساتذة وأعضاء في مجلس إدارة الكلية.

وقال أحمد في تغريدات نشرت على حسابه على تويتر "أنا أعرف أن التغريدات يمكن نهي حياتي المهنية من قبل ما تبدأ أصلاً بسبب تخييط من حياتنا (يقصد مسؤولي الجامعة)". وأضاف "كنا سبعة طلاب في بكالوريوس هندسة الإنتاج والتصميم الميكانيكي بجامعة المنوفية. كما هو معمول به، كنا مطالبين بمشروع وابدأنا تفكر خارج الصندوق في فكرة جديدة، ولم نقتل. وأردف "قررنا تصميم روبوت لجمع مكونات لوحات تركيب السطح. بعد درس جدوى الموضوع، وجدنا أن تكلفة المشروع 85 ألف جنيه مصري (نحو 5400 دولار أميركي) وهي ضخمة جداً".

وأوضح الطالب أنهم توجهوا إلى الأستاذ المشرف على المشروع باقتراحين، إما طلب دعم من البحث العلمي أو الاكتفاء برسم التصميم نظرياً من دون تطبيقه. وتقدّم الطلاب بطلب الدعم لكنه رفض لأن "الأستاذ المشرف على المشروع لا خبرة لديه في موضوع المشروع"، وفق أحمد.

وطرح الطلاب اقتراحاً جديداً بتعديل التصميم لتفادي عدة مراحل وخفض التكلفة على أن يشاركوا في دفعها بشرط واحد هو "أخذ الماكينة بعد مناقشة المشروع". لكن المشرف أبلغهم صراحة بعد إتمام المشروع ومناقشته بأنه "ليس لكم شيء عندي" وطردهم. ولفت إلى أنهم استنفدوا جميع السبل القانونية لطلب حقيهم. وأوصى أحمد يائسا أي طالب حالى أو مستقبلي في الجامعة بأن "يلقي طموحاته ولا يحاول التفكير خارج الصندوق فقط يكون نسخة مقلدة عن الآخرين". وأكد أحمد

"هذا ما يفعله دكتور في الجامعة من المفروض أن يكون قذوة للطلبة". وللقدوة أهمية قصوى تندرج في أن كل البشر في حاجة إلى شخصية إيجابية وناجحة مثمرة بأعمالها وأخلاقها على

